

وَأَمَرَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

الدُّلَّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^٥
 إِنَّ ذَاكِرَةَ الْإِنْسَانِ مَعْلُومَةٌ بِالنِّسْيَانِ. فَقَدْ يَنْسَى مَا رَأَهُ مِنْ إِحْسَانٍ
 مِنْ قَبْلِ وَالِدَيْهِ. لِأَجْلِ ذَلِكَ يَكُونُ هَذَا التَّنْبِيهُ مُهِمًّا جِدًّا لِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِنَّا. فَوْظِيْفَةٌ كُلُّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَتَقَوَّمَ بِمُقْتَضَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِالْإِحْسَانِ
 بِوَالِدَيْهِ وَالِدَعَاءِ لَهُمَا.

يُولَدُ كُلُّ إِنْسَانٍ كَوَلَدٍ غَيْرِهِ. وَيَرْتَحِلُ أَكْثَرُهُمْ إِلَى الْآخِرَةِ وَقَدْ
 أَصْبَحُوا آبَاءً وَأُمَّهَاتٍ. فَكُلُّ وَوَلَدٍ مُرْشَحٌ لِلأَبُوَّةِ، وَكُلُّ أَبٍ وَأُمٌّ وَوَلَدٌ
 مِنْ وَجْهِهِ.

وَحِينَئِذٍ يَقْصُ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قِصَّةَ الْخَلْقِ وَتَارِيخَ الْإِنْسَانِ يَذْكُرُ
 كَثِيرًا مِنَ الْأَفْرَادِ وَالْعَائِلَاتِ أَسْوَةً لَنَا وَحَيَاتِنَا. فَكُلُّ الْأَمْثَلَةِ
 الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ دَلِيلٌ لَنَا حَتَّى نَتَمَكَّنَ مِنْ تَنْظِيمِ حَيَاتِنَا عَلَى
 النَّمْطِ الَّذِي يُرِيدُهُ مِنَّا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْفَضْلَاءُ،

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْزَاءُ،

إِنَّ طَاعَةَ الْوَالِدَيْنِ وَاجِبَةٌ مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ أَوْ أَمْرٍ مُضِرٍّ.
 حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ. فَقَالَ
 ﷺ: «أَحْيِ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: «نَعَمْ.» قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ!»^٤
 وَتَأَسَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كُلِّ مَنْ لَمْ يَجْتَهِدْ لِيُنَالَ رِضَا وَالِدَيْهِ
 فَإِنَّهُ عِلْمٌ بِأَنَّهُ مِفْتَاحٌ لِلْجَنَّةِ.

فَقَدْ أُتْبِلِي إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِأَبِيهِ آزَرَ الَّذِي أَصَرَ عَلَى كُفْرِهِ
 وَرَدَّ التَّوْحِيدَ. فَبِالرَّغْمِ مِمَّا لَقِيَهُ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مِنْ قَوْمِهِ
 عَامَةً وَأَبِيهِ خَاصَّةً، قَدْ ثَبَتَ عَلَى قَوَاعِدِ الْإِحْتِرَامِ وَالْمُودَّةِ بِلِسَانِ
 رَحِيمٍ حِينَ خَاطَبَ أَبَاهُ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَبَتِ﴾.

نَذْكُرُ مَوْقِفَ الْأُمِّ خَاصَّةً فَإِنَّهَا تَحْمِلُ وَلَدَهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ بِكُلِّ مَا
 فِي الْحَمْلِ مِنَ الْمَشَقَّةِ. لِذَلِكَ أَكَّدَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مَوْقِفَ الْأُمِّ خَاصَّةً
 حِينَ جَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ
 صَحَابَتِي؟" قَالَ ﷺ: «أُمُّكَ» قَالَ: "ثُمَّ مَنْ؟" قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ:
 "ثُمَّ مَنْ؟" قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: "ثُمَّ مَنْ؟" قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكُ»^٥

وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللَّهُ خَاصَّةً لِإِحْسَانِهِمْ بِوَالِدَيْهِمْ
 وَاحْتِرَامِهِمْ يَحْيَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ). قَالَ فِيهِ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
 ﴿وَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً * وَكَانَ تَقِيًّا *
 وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾^١ فَالْأَنْبِيَاءُ قُدُورَةٌ لَنَا حَتَّى
 فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ. فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ نَبِيُّ مُحَمَّدٍ ﷺ: «رِضَا الرَّبِّ فِي
 رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»^٢

فَلَنَلْتَفِتْ إِلَى وَالِدَيْنَا بِإِحْسَانٍ، وَلِنُفْرِحْهُمْ وَلِنُخْدِمْهُمْ حَتَّى يَرْضَوْا
 عَلَيْنَا. وَلِنُخْتِمَ خُطْبَتَنَا الْيَوْمَ بِالِدَعَاءِ الْعَظِيمِ الَّذِي نَقْرَأُهُ يَوْمِيًّا:
 ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^٦ آمِينَ

إِخْوَتِي الْكَرَامَ،

قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا آيَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
 إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
 أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^٣ فَأَكَّدَ رَبُّنَا تَعَالَى أَهْمِيَّةَ
 الْإِحْسَانِ بِالْوَالِدَيْنِ بِأَنْ ذَكَرَهُ مَقْرُونًا بِالْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ.



^٥ صحيح البخاري، كتاب الأدب، ٢، رقم الحديث (٥٩٧١)؛ صحيح مسلم،

كتاب البر، ١، رقم الحديث (٢٥٤٨)

^٦ سورة إبراهيم: ٤١

^١ سورة مريم: ١٢-١٤

^٢ جامع الترمذي، كتاب البر، ٣، رقم الحديث (١٨٩٩)

^٣ سورة الإسراء: ٢٣

^٤ رواه الطبراني في المعجم الأسط (انظر الهيثمي: مجمع الزوائد ٥٢٣٥)